﴿ الولوع بالاتقان ﴾

انه لو لم يكن لمجيدي الاعمال ومتقنيها شهرة بين الناس فوق الاجرة وثناء على الاعمال فوق المال لما اتقن عمل ولا استجيد صنع ولهذا نجد كبار الناس على الدوام ينالون من الاجرة اقل جداً مما يستحقون بالقياس الى المخاطرة بالارواح او انفاق الاعمار ونبذ ملذاتها في سبيل ذاك الاتقان والكمال

اما اكثر الناس انفاقا لاعمارهم في سبيل الاتقان والوصول الى الكمال فهم رجال الفنون النفيسة كالتصوير والشعر والموسيقى والنحت وبالتالي كل الفنون النافعة كالطب والكيمياء والفلك وجميع ما يندرج طي العلوم العالية فان نفوسهم تلزمهم الزاماً بالوصول الى الكمال سواء نالوا الاجر او لم ينالوا وهم لو لا ما استودعوه من هذه الغرائز لما بدا منهم كمال مهما بذل لاجله من مال

ولا حاجة هنا لان نذكر كل ذي فن نفيس وما انفق لاتقانه من مال وعمر بل نكتفي بنقل ما ذكر عن بعض المصورين المجيدين الذين اولعوا بفنهم حتى لا يهمهم في سبيل اتقانه شئ مهما عظم وبرح . فانهم قد ذكروا عن احد المصورين البارعين انه اراد تصوير حادثة جرت في احدى قرى فرنسا فانه ما اكتفى بان تمثلها في ذهنه ليؤدي المراد منها او اقتنع بما كتب عنها ونقل من صورها ليبلغ مقدار التأثير المطلوب بها بل ذهب بنفسه الى محلها وكانت تلك الحادثة قد جرت قبل عهده بزمان فأخذ يطوف الرسوم البالية والاطلال العافية ناقلا كل دقيق وجليل يتعلق بها متخذاً

اصغر شيء كالاثفية بمقام اجلها كالعرش والصولجان وكل هذا من اجل ان تبدو صورته متقنة كاملة كأنها صورة شمسية قد انطبع عليها كل الذي كان في ذاك الزمان وقد انفق على ذلك عدة سنوات واجتاز اليها مآت اميال من فلوات

وذكروا عن مصور آخر انه اراد تصوير حادثة عظيمة يجب ان يصور معها الرجل الذي كان زعيمها وكان الرجل موصوف الاخلاق معروف الصفات مدلولاً على كل حالاته وشخصه بالكلام الطويل والشرح الوافي ولكن المصور لم يكتف بكل ذلك بل ذهب بنفسه الى محل الحادثة وعاشر القوم الذين كان صاحب الحادثة منهم واخذ يصور الجبهة من هذا والعين من ذاك وسائر الجسم من ذلك وهذاك حتى بلغ من نيته كل ما يريد وبرزت صورته وهي اقرب الصور الى حقيقة ما كان كانه رسم اصحابها انفسهم رسماً

ثم انه لا يتفق لكل مصور يريد اجادة ما يرسم ان يكون له في البلاد التي يريد التصوير فيها اعوان او تكون ذات مدنية ترد عنه الاخطار بل ان كثيرين منهم يولعون بتصوير الوقائع الحادثة في المجاهل بين الاسود وسائر الضواري فيذهبون اليها متعرضين لاشد الاخطار والمشاق حاملين عددهم على اكتافهم ومتنقلين بها من مكان الى مكان متعرضين لقتل من يعترضهم حيناً واسترضائه احياناً حتى يبلغوا كل مأمولهم ويرجعوا غانمين ظافرين وقد ذكروا عن مصور منهم انه رحل من القاهرة الى اورشليم على جمل لتصوير حادثة جرت في عهد فاله من ذلك ما لا يوصف ولا يصور من تعب وخطر لا لشيء الا الاتقان والكمال

اما تلك الصور التي تنال بهذه الكيفية فانها مما ينافس فيها المنافسون ويذخرها الذاخرون ويسرف في سبيلها الباخلون ولكنه ليس حب المال الذي دعا اليها وانما هو حب الفن نفسه ورغبة المصور ان يكون منوهاً به ولولا ذلك ما كان ذلك . بل ان آخر دليل يذكر على ذلك موت ذلك المصور الروسي العظيم الذي غرق مع الاميرال مكاروف على الدارعة بتروفلسكي في بور ارثر فانه اجتاز الوف الاميال من بلاده الى بحار الصين واليابان من اجل ان يصور معاركها البحرية فقط تصوير مشاهد عياني مع ان عشرات غيره ممن لم يرزقوا محبة الاتقان والولوع بالكمال يصورون تلك المشاهد عن سماع او يتمثلونها تمثلا فتأتي لا كما يجب وان بهذا وامثاله تتفاوت مقادير الناس وتتباين رتبهم

على انه ليس المصورون كذلك فقط بل يتلوهم رجال سائر الفنون الجميلة فانهم كلهم يباشرون اشد الاخطار في سبيل الاتقان والكمال ويرحلون من مكان الى مكان هذا الاستماع لحن وذاك لرؤية تمثال حتى ان الشاعر الذي يكفيه التمثل والتخيل يذهب الى مكان الحادثة اذا اراد ان ينظم شيئاً فيها تصدان يكون شعره اصدق ووصفه اتم بسبب ما يحدثه النظر من التأثير ولكن كل هذا لا اجر له على مقداره بل اكثر ذلك الاجر قولهم للمحسن احسنت ولله انت وكفى